شرح كتاب التوحيد

الدرس الرابع)كتاب التوحيد(3/3

أحمد القاضي

فخاض الناس في اولئك. يعني في اولئك السبعين. فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. طبعا جميع المتحدثين صحابة. اذا ما معنى قولهم؟ فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. يعني - 00:00:00

ها؟ لا يعني ارادوا بذلك انهم السابقين الى الاسلام الذين لهم صحبة قديمة مع النبي صلى الله عليه وسلم او هم الذين اكثر ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم - 00:00:20

فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام فلم يشركوا بالله شيئا. يعني توقع اخر بان هؤلاء السبعين هم من لم يتلطخ بشرك ابدا لكونه ولد في الاسلام. كعبد الله ابن الزبير ومن كان على شاكلة - 00:00:40

ممن ولد في الاسلام لم يدرك شيئا من امر الجاهلية. فاعدوا ذلك منقبة. وذكروا اشياء يعني اخرى فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه يعني بما جرى بينهم من المحاورة فقال هم - 00:01:00

لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. ما شاء الله لله درهم هؤلاء السبعين من جمع هذه الاوصاف. الوصف الاول لا يسترقون. ما معنى لا يسترقون؟ اي لا يطلبون الرقية. لا - 00:01:20

من احد ان يرقيه. اذا اصابهم شيء توجهوا الى الله تعالى بالدعاء او انهم رقوا انفسهم بانفسهم. فلكمال توكلهم على الله عز وجل لا يطلبون من احد شيئا. ولا شك ان هذا دليل - 00:01:40

التوكل وكمال التوحيد. وبه يحصل تحقيق التوحيد. وهذا هو سبب ايراد سعيد بن جبير. هذا الحديث على من على حسين بن عبدالرحمن لان حسين بن عبدالرحمن استدل بحديث لا رقية الا من عين او حمى واقره وحمد له - 00:02:00

انه انتهى الى ما سمع لكنه اراد ان يرفعه الى رتبة اعلى ولا تعارض بين الحديث الاول والحديث الثاني لان هذا من فق في الكمال. فقال كانه يقول كان الاليق بك والاكمل لك الا تطلب من احد ان يرقيك. وانما - 00:02:20

ترقي نفسك بنفسك. لان النبي صلى الله عليه وسلم وصف السبعين الفا بانهم لا يسترقون. فهم لكمال توكلهم ورضاهم بقدر الله عز وجل لا يلجأون الى مخلوق. ولا شك ايها الاخوان ان هذا من كمال التوحيد. لنستكمل - 00:02:40

الاوساط. قال ولا يكتوون لا يكتوون اي لا يسألون ولا يطلبون من احد ان يكويه والكي معروف اخر الطب الكي. وهو علاج ثابت اثبته النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري فقال لا اجد فيما تتدانون فيه الا في ثلاث شربة من عسل او - 00:03:00

لدعة من من نار او شرطة من حجاب. او كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. فاثبت النبي صلى الله عليه وسلم الشفاء في هذه الاشياء. لكنه قال وانهى امتي عن الكي. هذا النهي منه صلى الله عليه وسلم حمله النبي - 00:03:30

حمله العلماء على نهي الكراهة او خلاف الاولى. بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم كوى بعض اصحابه كوى اسعد ابن زرارة وهو من الانصار السابقين الى الاسلام. وكوى النبي صلى الله عليه وسلم ابي ابي بن كعب - 00:03:50

فالكي نافع جائز فكوى بعض اصحابه من ذات الشوكة. ولاجل ذا قال بعض العلماء ان الكراهة تزول اذا تعين الكي شفاء لهذا الداء. اذا تعين الكي شفاء لهذا الداء. مثل ذات الجمب - 00:04:10

ذات الجنب مرض معروف. تلتصق فيها الرئة بالاضلاع. فلا كان الانسان من النفس وهي حالة معروفة عند الاطباء يسمونها في اللغة الانجليزية نيومونيا. هذه الحالة باذن الله تعالى اذا عوملت بالكي انطلق هذا الالتصاق مباشرة. وقد رأيت هذا بعيني - 00:04:37

رأيت بعض من اصيب بهذا المرض وهو آآ ذات الجمع ماء يمسه اه يعني الكي حتى ينطلق صدره ويعود كما كان سويا طبيعيا باذن

الله. فقال بعض العلماء تكون الكراهة فيما لم يتعين فيه الكي فيما تعين فيه الكي علاجا. واما ما لم يتعين - 00:05:07
محتملا فلا. ويمكن ان يعني ان نقول ان الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا في امر الكي كما قال ابن القيم قال انه ورد عنه فعله صلى الله عليه وسلم. وورد عنه - 00:05:37
آآ النهي عنه. وورد عنه الثناء على تاركه وورد عنه جوازه فيكون ذلك من باب المراتب. فلا شك ان من تركه ترك الكي فقد استكمل احد شروط السبعين الفا. طيب قال ولا يتطيرون. لا يتطيرون اي لا يتشائمون بالطموح - 00:05:57
خلافا لاهل الجاهلية. اذ كان اهل الجاهلية يتشائمون من السوامح والجوارح فيما سيأتينا ان شاء الله في باب مستقل في باب الطيرة. فاذا رأى احدهم مثلا بوما او غرابا وهو يريد سفرا صرفه ذلك عن سفره - 00:06:25
تشاؤما بان هذه السفرة غير موفقة. بسبب ما رآه. فهذا من امر الجاهلية لانهم اثبتوا سببا لم اصبه الله سببا لا حسا ولا شرعا. فما شأن الطيور بالاقدار؟ فلهذا قال ولا يتطيرون. والمقصود بقوله - 00:06:45
لا يتطيرون ما هو بانه لا يقع في قلوبهم الطيرة لكنهم لا يتبعونه. ولا ربما وقع في نفوسهم شيء لكنهم يطردونه كما قال ابن مسعود وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل - 00:07:05
يعني ربما وقع في نفس الانسان شيء قال الله يستر والله اني ما ادري عن هالرحلة ذي عن هذه السفرة اخشى ان يكون فيها ما يسوء بسبب امر لا علاقة له. فيقع في نفسه شيء. فالمؤمن المتوكل هو الذي لا يصرفه التطير عن حاجته. بل يتوكل - 00:07:22
ويمضي. ولهذا قال ابن مسعود وما منا الا يعني الا وقع في نفسه شيء. ولكن الله يذهبه بالتوكل. ثم ختم ذلك بقوله وعلى ربهم يتوكلون. التوكل قد مر بنا انه اعتماد القلب على الله - 00:07:42
في جلب المصالح ودفع المفاسد مع فعل الاسباب الموصلة الى ذلك. فهم يتوكلون على الله عز وجل في مصالحهم لا يدعون الاسباب. وبناء عليه فهل المقصود من هذه الاوصاف ان يدع - 00:08:02
انسان الاخطاء بالاسباب لا بل ان هؤلاء السبعين قد اخذوا باعظم الاسباب وهو التوكل على الله عز وجل. فهم لم يتركوا الاسباب وانما تركوا نوعا من الاسباب. او بعض الاسباب تركوا - 00:08:22
وتركوا الاكتواء وتركوا التطير الذي لا اصل له. واخذوا باعظم اسبابه التوكل على الله. فمن التوكل على الله ان يلح العبد على ربه في الدعاء. ويتوجه اليه بكل موقنا بانه لا يكشف الضر الا هو. لا يأتي بالحسنات الا هو. لا يدفع السيئات الا هو. كما قال الله تعالى - 00:08:42
ان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو. وان يردك بخير فلا راد لفضله. فهذا من اعظم الاسباب. وبهذا تبين ان هذا الحديث لا يخالف مقتضيات الشريعة ومقاصدها الدالة على ان - 00:09:12
الدالة على الاخذ بالاسباب. فترك الاخذ بالاسباب عجز. ترك الاخذ بالاسباب عجز. والتعلق بالاسباب دون المسبب شرك والمطلوب هو ان يأخذ العبد بالاسباب مع تعلق قلبه في مسبب الاسباب. فهذه مسألة دقيقة في الواقع فمن اراد ان يندرج في هؤلاء السبعين الفا فليحقق - 00:09:32
هذه الاوصاف التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم فلا يسترقي. لكن هل من لازم هذه الاوصاف لا يتداوى لا لان التداوي اوسع من الرقية او الكي. ولهذا اختلف العلماء - 00:10:02
في المذاهب الاربعة في التداوي. يعني ما حكم التداوي ان يذهب الانسان للعلاج؟ ان يذهب للمستشفيات؟ فذهب الامام احمد الله في المشهور عنه الى ان التداوي جائز الى ان التداوي مكروه وتركه اولى - 00:10:22
الى ان التداوي مكروه وتركه اولى. وربما قال ذلك بناء على هذا الحديث وامثاله فذهب الشافعي او الشافعية الى ان التداوي مستحب وذهب الاحناف الى ان التداوي واجب. لورود حديث تداووا يا عباد الله - 00:10:42
ان الله ما انزل داء الا وانزل له دواء. وذهب ما لك رحمه الله الى استواء الامرين. الى استواء الامر يعني الاباحة دون ان يكون ذلك مصحوبا بكراهة. اعيد ذلك. ذهب الامام احمد رحمه الله الى ان التداوي مكروه وتركه اولى - 00:11:10

وذهب الشافعي الى ان التداوي مستحب. وذهب ابو حنيفة الى ان التداوي واجب او يقرب به من الوجوب وقال مالك رحمه الله بالاباحة واستواء الامرين. هو الذي يظهر والله اعلم ان التداوي - 00:11:30

مطلوب لا سيما اذا كان المرض يحجزه عن مصالحه ويفوت عليه مقاصد دينية ودنيوية كما هو الغالب. ففي هذا ينبغي للانسان ان يستدفع بهذا الامر وليس في هذا مناقضة للقدر. بل كما قال عمر رضي الله عنه لما وقع طاعون عمواس في الشام - 00:11:50

لم يدخل دمشق فكتب اليه ابو عبيدة عامر ابن الجراح كانما يعتب عليه وقال يا امير المؤمنين اتفر من قدر الله فقال يا ابا عبيدة لو قالها غيرك او قال لو قالها غيرك يا ابا عبيدة نفر من قدر الله الى قدر الله - 00:12:20

فكون الانسان يفعل الاسباب ويستدفع القدر بالقدر هذا لا يعد منافيا للتوكل اه تتمة هذه القصة قال وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة ابن محصن هذا عكاشة ابن محصن هو عكاشة ابن - 00:12:42

محصن الاسدي رضي الله عنه كان من السابقين الى الاسلام. ممن هاجر وشهد بدرا. وكان قد استشهد في قتال الردة في السنة الثانية آآ من السنة الثانية عشرة من الهجرة مع خالد ابن الوليد في قتاله لاهل - 00:13:00

فقام عكاشة بن محصن فقال ادعو الله ان يجعلني منهم. انظر هذه المبادرة ما احسن المبادرة وكم تأتي على صاحبها بالخير. اما التواني فانه يفوت الانسان الخير العظيم. قال انت منهم. نال هذه المنقبة - 00:13:20

ثم قام رجل اخر فقال ادعو الله ان يجعلني منهم. قال فقال سبقك بها عكاشة. هذا الرجل الاخر لم يسمى قال بعض الشراح انه كان من من المنافقين وهذا لا يظهر. فقول النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها - 00:13:40

عكاشة لا لكون ذلك الرجل منافقا اذ لو كان منافقا ما حرص على هذا الخير. ولكن النبي صلى الله عليه خشي ان ينفتح الباب. ثم يقوم من لا يستحق هذه الرتبة. فاجاب بهذا الجواب البديع اللبق المؤلف - 00:14:00

بل ان في هذا الجواب ما يشعر هذا الرجل بانه قد يدخل في هذه الفضيلة. لماذا؟ لانه فسبقك بها فعكاشة سابق وانت لاحق. ربما اشعره بهذا فكان في ذلك تطييبا لنفسه. فهذا الحديث - 00:14:20

حديث عظيم مناسب لهذا الباب اذ انه يتضمن تحقيق التوحيد. بما الاسترقاء والاكتواء وعدم التطير وكمال التوكل على الله وهذا كله يدل على تحقيق التوحيد وان من حقق التوحيد فانه يدخل الجنة آآ فانه يدخل الجنة كما في ترجمة الباب. وآآ انبه ايها الاخوة - 00:14:40

على انه ليس من لازم قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يسترقون ليس من لازم ذلك ان يرد الانسان المريض من يرقيه. فلو كان انسان مريضا وجاء اليه احد فرقه من غير طلب منه. فليس - 00:15:10

من اللازم ذلك ان يقول لا لا لا ارجوك لا تفعل. لا دعه وشأنه. انت لم تطلب منه ذلك. فهو فعله من تلقاء نفسه فلا ترده ولا تعد ولا تعد بذلك خارجا عن هذه الفضيلة. كما انبه ايضا على انه قد روي الحديث بلفظ لا يرقود - 00:15:30

وهذا تصحيف ووهم من راويه. واللفظ المحفوظ لا يسترقون. تظمن الحديث الحقيقة جملة من الفوائد لعله يأتي ذكرها في المسائل فيه مسائل الاولى معرفة مراتب الناس في التوحيد الثانية ما معنى تحقيقه؟ - 00:15:50

الثالثة ثناؤه سبحانه على ابراهيم بكونه لم يك من المشركين الرابعة ثناؤه على سادات الاولياء بسلامتهم من الشرك الخامسة كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد السادسة كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل - 00:16:18

السابعة عمق علم الصحابة بمعرفتهم انهم لم ينالوا ذلك الا بعمل الثامنة حرصهم على الخير التاسعة فضيلة هذه الامة بالكمية والكيفية العاشرة فضيلة اصحاب موسى الحادية عشرة عرض الامم عليه عليه الصلاة والسلام - 00:16:51

الثانية عشرة ان كل امة تحشر وحدها مع نبيها الثالثة عشرة قلة من استجاب للانبياء الرابعة عشرة ان من لم يجبه احد يأتي وحده الخامسة عشرة ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة - 00:17:24

السادسة عشرة الرخصة في الرقية من العين والحمى السابعة عشرة عمق علم السلف لقوله قد احسن من انتهى الى ما سمع ولكن كذا وكذا وعلم ان الحديث الاول لا يخالف الثاني - 00:17:57

الثامنة عشرة بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه التاسعة عشرة قوله انت منهم علم من اعلام النبوة العشرون فضيلة عكاشة الحادية والعشرون استعمال المعاريض الثانية والعشرون حسن خلقه صلى الله عليه وسلم - 00:18:23
شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة قائما بالقسط. لا اله الا هو العزيز - 00:18:56